

سكان ليبيا القديمة (قراءة في الشواهد الأثرية والمصادر الكلاسيكية)

أ. ناجي أحمد الأريش
باحث في مرحلة الدكتوراه
الأكاديمية الليبية للدراسات العليا/ جنزور
najiahmedalrabash@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة سكان ليبيا القديمة من خلال مقارنة تكاملية تجمع بين الشواهد الأثرية والمصادر الكلاسيكية، بهدف بناء تصور أكثر دقة حول أصول هذه الجماعات البشرية وتطورها وخصائصها الحضارية. تتبع أهمية الموضوع من الموقع الجغرافي لليبيا في قلب شمال أفريقيا، والذي جعلها فضاءً للتفاعل الحضاري بين العناصر المحلية والمتوسطية منذ أقدم العصور.

اعتمدت الدراسة على تحليل المصادر المصرية القديمة بوصفها شواهد أثرية مباشرة، حيث قدمت هذه المصادر معلومات مهمة عن القبائل الليبية مثل التحنو، التمحو، الليبو، والمشواش، من حيث مواقعها الجغرافية، وأنماط حياتها، وعلاقاتها السياسية والعسكرية مع مصر القديمة. كما أبرزت هذه المصادر طبيعة التفاعل بين هذه القبائل والدولة المصرية، والذي تراوح بين الصراع والتعايش، وصولاً إلى اندماج بعض العناصر الليبية في البنية السياسية المصرية، كما تجلّى في قيام الأسرة الثانية والعشرين.

في المقابل، تناول البحث المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية، وعلى رأسها كتابات هيرودوتس، التي قدمت وصفاً إثنوغرافياً لسكان ليبيا القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد وما بعده. وقد أظهرت هذه المصادر تحولات ديموغرافية واضحة، تمثلت في اختفاء التسميات القديمة وظهور قبائل جديدة مثل النسامونيس والجرمنت والماكاي، مع استمرار تركزها في نفس المجالات الجغرافية تقريباً. كما كشفت عن تنوع أنماط العيش بين الرعي والزراعة والاستقرار، إضافة إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية مع القوى المتوسطية كالفينيقيين والرومان.

وخلصت الدراسة إلى أن سكان ليبيا القديمة لم يكونوا مجرد قبائل بدوية متنقلة، بل امتلكوا أنماطاً مستقرة من الحياة، واستفادوا من الموارد الطبيعية المتاحة، مما ساهم في نشوء مجتمعات ذات تنظيمات اجتماعية واقتصادية واضحة. كما أكدت على ضرورة قراءة المصادر الكلاسيكية قراءة نقدية في ضوء الشواهد الأثرية، لتجاوز التحيزات الثقافية وبناء فهم أكثر موضوعية لتاريخ المنطقة.

Research Summary

This research examines the ancient Libyan population through an integrated approach combining archaeological evidence and classical sources. Its aim is to develop a more accurate understanding of the origins, evolution, and cultural characteristics of these groups. The importance of this topic stems from Libya's geographical location in the heart of North Africa, which has made it a space for cultural interaction between local and Mediterranean elements since ancient times.

The study relies on the analysis of ancient Egyptian sources as direct archaeological evidence. These sources provide important information about Libyan tribes such as the Tehenu, Temehu, Libu, and Meshwesh, including their geographical locations, lifestyles, and political and military relations with ancient Egypt. These sources also highlight the nature of the interaction between these tribes and the Egyptian state, which ranged from conflict to coexistence, culminating in the integration of some Libyan elements into the Egyptian political structure, as exemplified by the establishment of the Twenty-second Dynasty.

In addition, the research examines classical Greek and Roman sources, most notably the writings of Herodotus, which offer an ethnographic description of the ancient Libyan population during the fifth century BCE and later. These sources revealed clear demographic shifts, characterized by the disappearance of older names and the emergence of new tribes such as the Nasamones, Garamantes, and Macae, who continued to concentrate in roughly the same geographical areas. They also revealed a diversity of lifestyles, ranging from pastoralism and agriculture to settled life, in addition to economic and political relations with Mediterranean powers such as the Phoenicians and Romans.

The study concluded that the inhabitants of ancient Libya were not merely nomadic tribes, but rather possessed settled lifestyles and benefited from available natural resources, which contributed to the development of societies with clear social and economic structures. It also emphasized the need for a critical reading of classical sources in light of archaeological evidence to overcome cultural biases and build a more objective understanding of the region's history.

مقدمة:

يُعدّ موضوع سكان ليبيا القديمة من القضايا التاريخية التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الكلاسيكية والأثرية، نظراً لما يمثله هذا الإقليم من أهمية جغرافية وحضارية في قلب شمال أفريقيا، حيث شكّل مجالاً للتفاعل بين عناصر محلية وأخرى متوسطة منذ أقدم العصور، وقد ارتبطت تسمية "ليبيا" في المدونات القديمة، خاصة لدى المؤرخين الإغريق مثل هيرودوت، بدلالات جغرافية وبشرية واسعة، شملت مجموعات سكانية متعددة عُرفت بخصائصها الثقافية والاجتماعية المميزة.

تعتمد دراسة سكان ليبيا القديمة على طيف متنوع من المصادر، يأتي في مقدمتها المصادر المصرية القديمة والتي تعد من أهم الشواهد الأثرية التي كشفت عنها الحفريات في مواقع متعددة، حيث أسهمت اللقى المادية (نقوش وفخار ومعمار) في إعادة بناء ملامح الحياة اليومية والبنية الاجتماعية

للسكان، كما تُعدّ هذه الشواهد أكثر موضوعية في كثير من الأحيان مقارنة بالمصادر الأدبية، لما توفره من معطيات مباشرة غير خاضعة بالكامل للانطباعات الخارجية.

في المقابل تمثل المصادر الكلاسيكية (الإغريقية والرومانية) مادة أساسية لفهم سكان ليبيا القديمة، رغم ما يشوبها من تحيزات ثقافية ونظرة "الآخر" التي طبعت كتابات مؤلفين مثل سترابون وبلينيوس الأكبر. فقد قدّمت هذه النصوص أوصافاً إثنوغرافية واجتماعية، تناولت أنماط العيش، والتنظيمات القبلية، والعلاقات مع القوى المتوسطة، إلا أنها تحتاج إلى قراءة نقدية ومقارنة دقيقة مع المعطيات الأثرية.

ومن هنا تتبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تقديم قراءة تكاملية لسكان ليبيا القديمة من خلال الجمع بين الشواهد الأثرية والمصادر الكلاسيكية، بهدف تجاوز الرؤية الأحادية، وبناء تصور أكثر دقة وموضوعية حول أصول هذه الجماعات، وتطورها، وخصائصها الحضارية.

أولاً: سكان ليبيا قديماً وفق المصادر المصرية القديمة:

وقد جاء ذكرها في المصادر المصرية القديمة المتمثلة في مجموعة النقوش والكتابات والرسومات الفرعونية التي شكلت المصدر الأساسي للتاريخ المصري القديم، وفي الغالب فإن مواضيع هذه المصادر يتعلق بتدوين التاريخ السياسي والإقتصادي والاجتماعي والديني الخاص بمصر القديمة، والذي يتركز أساساً على ضفاف وادي النيل⁽¹⁾.

وبما أن تاريخ مصر القديمة في كثير من المراحل كان مرتبطاً ببعض الأقاليم خارجها ومنها منطقة المغرب القديم، فإن تلك المصادر حملت العديد من الإشارات والذي أعتبر بعضها مصدراً مهماً لتاريخها والذي تقتصر إليه في تلك الحقبة، ونخص هنا بلاد ليبيا تحديداً⁽²⁾، وابتداء من عصر الاسرات بدأت تردنا المعلومات من المصادر المصرية⁽³⁾، وترجع البدايات التاريخية لنشأة قبائل المغرب القديم إلى مجموعات قبلية تنتشر في المنطقة المحصورة بين غرب النيل والمحيط الأطلسي، تلك الصورة أوردتها المصادر المصرية القديمة، حيث ذكرت المظاهر العامة لهذه القبائل المختلفة حرفياً ولغوياً عن السلالة المصرية، فأطلقت على كل مجموعة منها تسمية، وحددت طبيعة العلاقة التي تربطها ببعضها وبمصر القديمة، وتميز معظمها بالعدائية، كما وصفت أفرادها من حيث أنظمة حكمهم ووضعية محاربيهم وأنشطتهم الاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية⁽⁴⁾. وتُعدّ النصوص المصرية القديمة من بين الوثائق التاريخية التي تشكل مصدراً أساسياً، يخبرنا عن الملامح العامة لقبائل بلاد المغرب القديم، التي عرفت

بتسميات شهيرة في النصوص المصرية، وهي التحنو والتحمو والليبو والمشواش، بالإضافة إلى العديد من القبائل الأصغر حجماً مثل: ايمو كهك وكهك وكيكش وغيرها⁽⁵⁾.

وذكر فرنسوا شاموا أن القبائل التي سكنت غربي النيل في الجزء الشرقي من منطقة المغرب القديم، وأن احتكاك هذه القبائل بالمصريين القدماء كان سبباً في تدوين جزءاً من تاريخها في الآثار المصرية، ويعود أول رسم يصور الليبيون القدماء إلى حوالي منتصف الألف الرابع قبل الميلاد المتجسد في لوحة سكين جبل عركي (نجع حمادي بصعيد مصر)، ويصور لمعركة يعتقد بعض الباحثين أنها تمثل معركة بين ليبيون ومصريين قداماء⁽⁶⁾.

ويمكن إجمال ما ورد من معلومات عن هذه المجموعات السكانية في المصادر المصرية القديمة فيما يلي:

قبائل التحنو: تقع بلاد التحنو على الحدود الغربية المتاخمة للدلتا ما بين وادي النطرون والفيوم والواحات وصولاً لبرقة، وينتقلون أحياناً إلى الأقاليم الجنوبية لمجرى وادي النيل، وأسم التحنو لفظ عرقي وليس على أساس جغرافي، وتتشابه السمات الجسمانية للتحنو مع المصريين من حيث لون البشرة الضاربة إلى السمرة والقامة الطويلة، والشعر الأسود الغزير المسترسل والوجوه النحيفة⁽⁷⁾.

لقد ورد أسم التحنو في نصوص الملك رمسيس الثالث، إلا أن ذكر التحنو قد جاء في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري، وقد عثر على لوحة ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات في زمن الملك القبلي الملقب (بالعقرب)، ويهمنها منها الصف الرابع حيث نقش علامة تدل على كلمة تحنو، لذا فقد عُرفت باسم (لوحة التحنو) ويبدو أن هذا الملك قد خاض حرباً ضدهم⁽⁸⁾ وقد مثل الوجه الأول من هذه اللوحة سبعة مستطيلات تشير إلى سبع مدن دمرها ذلك الملك، أما الوجه الآخر فيمثل أربعة صفوف من النقوش الأفقية من الغنائم المتمثلة في أنواع الحيوانات التي سلبها من التحنو بعد انتصاره عليهم⁽⁹⁾.

كما ذكر أسم هذه القبيلة على الختم الاسطواني للملك نعرمر من الأسرة الأولى 3400 ق.م 3200 ق.م، وورد في المعبد الجنائزي للملك سحورع من الأسرة الخامسة، وفي نصوص الأهرامات، وفي عصر الملك سبتي من الأسرة السادسة، وذكر أيضاً على النصب التذكاري للملك أمنحتب من الأسرة الحادية عشر⁽¹⁰⁾، والملاحظ أن التحنو أصل سكان المقاطعات الغربية من الدلتا أو على الأقل العنصر الغالب فيها، ومن هذا المنطلق أطلق هذا الاسم على كل من يسكن الغرب من مصر من تلك القبائل⁽¹¹⁾.

وفي نص يعود الى الملك مرن بتياح بالكركنك يشير الى استيلاء الليبو والمشواش على أراضي قبائل التحنو، والملاحظ أن التحنو أصل سكان المقاطعات الغربية من الدلتا أو على الأقل العنصر الغالب عليها، ومن هذا المنطلق أطلق الاسم على كل من يسكن الغرب من مصر من تلك القبائل.⁽¹²⁾ وعلى طول تاريخ مصر القديم نجد أن التحنو الليبيين قد أخذوا يظهرن باستمرار ضمن الشعوب التي هزمها قدماء المصريين، وقد رسمت لوحات تمثل أسراهم وأسلحتهم التي تم الاستيلاء عليها.⁽¹³⁾

قبائل التمحو: كانت بلاد التمحو تمتد على طول الحدود الغربية لمصر القديمة، وكانوا قد بدؤوا تحركاتهم تجاه مصر في مرحلة العصر الوسيط الأول (2181 ق م – 2060 ق م)، حيث صورتهم النقوش المصرية بوضوح في مقبرة الملك سيتي الأول، على إنهم جنس من أجناس العالم القديم المجاور للعالم المصري⁽¹⁴⁾، وقد ذكرت قبائل التمحو في النصوص المصرية القديمة في عهد الملك بيبى الأول من ملوك الأسرة السادسة (إنه أثناء محاربة قبائل أسيا كان معه فرقة من التمحو)⁽¹⁵⁾، وورد اسم التمحو على لوحة في معبد الربة حتحور⁽¹⁶⁾، كما اشير إليهم أيضاً في قصة ستوحي في عهد الفرعون أمنحات الأول من الدولة الوسطى⁽¹⁷⁾.

وابتداء من عهد الأسرة الثامنة عشر بدأ يظهر أسم التمحو، وكان الملك أحمس الأول قد أطلق على أحدي بناته اسم (أحموس حنه تمحو) أي احموسي سيدة التمحو، وفي عهد الملك أمنحتب الأول بدأت أخبار الصراع مع التمحو ترد في النصوص المصرية القديمة، وبعد أن أستقر التمحو عند تخوم مصر الغربية أخذوا يشكلون خطراً كبيراً على جيرانهم المصريين، وكانت غاراتهم على الأراضي المصرية محدودة في البداية، وبعد ذلك شكّلوا تهديداً بالغ الخطورة بالنسبة للفرعنة⁽¹⁸⁾. أما في عهد الأسرة الثامنة عشر فقد خفت خطورتهم بل وأصبحوا يدفعون الضرائب للملكة حتشبسوت وشريكها الملك تحتمس الثالث.⁽¹⁹⁾

قبائل الليبو: كانوا يعرفون أيضاً باسم الريبو، حيث أطلق هذا الأسم على قبيلة كبيرة كانت تعيش في شمال غرب ليبيا، وتنتشر أحدي عشائرها في واحة سيوة إلى جانب مجموعات قبلية صغرى كانت تعرف بالكهك والأكبت⁽²⁰⁾، ويظن المؤرخون بمرور الوقت أصبح اسم الليبو يدل على كامل المنطقة التي تقع غرب النيل كما أكدت المصادر الكتابية الاغريقية⁽²¹⁾، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه القبيلة قد أشتق منها أسم ليبيا، وقد جاء أول ذكر لهم في لوحة تعود إلى الملك رمسيس الثاني، ويذكر أنه قد غزا بلاد الليبو⁽²²⁾، وورد ذكرهم أيضاً في زمن مرن بتياح، حيث أنه صد هجوماً شنته تلك القبائل على

مصر، وجاء ذكرهم أيضا في عصر الملك رمسيس السادس من الأسرة العشرين، كما أشير إليهم في زمن الملك شيشنق الرابع من الأسرة الثالثة والعشرين⁽²³⁾، كما ورد نص يعود للملك مرنبتيح جاء فيه (أن رئيس الليبو مري بن دد قد أنقض على أقليم التحنو برمته)⁽²⁴⁾.

قبائل المشواش أو المشوش: يبدو أن قبيلة المشواش هي القبيلة الأكثر وروداً في المصادر المصرية، حيث كانوا ينتشرون بين المناطق الشمالية للصحراء الكبرى حتى قرطاجة، ومع بداية عصر الأسرة الثامنة عشر تجمعوا حول حدود مصر الغربية طلباً للإقامة الدائمة حول الدلتا، وقد اشتركوا مع شعوب البحر في الهجوم على مصر، وصلت قبائل المشواش إلى مصر سالكين طرقاً ساحلية من الشرق إلى الغرب، وعندما لم يتمكن المشواش من الدخول إلى مصر باستخدام القوة لجأوا إلى التسلل السلمي، وأنضم بعضهم إلى الجيش المصري كجند، إلا أن قلة الحروب بعد عهد الملك رمسيس الثالث وقلة الأموال في الخزائن المصرية، سبب ذلك في عدم دفع أجورهم فتم منحهم إقطاعات من الأراضي في أقاليم مصر الوسطى والسفلى كأهناسيا، التي ظهر منها شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرون⁽²⁵⁾، وأما أول ذكر لهم جاء في عهد الملك أمنحتب الثالث من الأسرة الثالثة عشر، حيث ذكر ما يدل على وصول أواني تحتوي على ذهن طازج من أبقار المشواش⁽²⁶⁾، وتمكنت قبائل المشواش من تأسيس الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصر قرابة قرنين من الزمان متمثلة في الملك شيشنق الأول، الذي بسط سيطرته على مصر القديمة خلال الألف الأول قبل الميلاد⁽²⁷⁾. وعلى مدى قرنين من الزمن أستطاع بعض سكان ليبيا أن ينعموا بتحقيق هدفهم في الاستيطان في الربوع المصرية، بل وأصبحت مصر مفتوحة أمام مختلف القبائل الليبية، ولم يبق شيشنق بثورة للاستيلاء على الحكم في مصر القديمة، بل انتظر وفاة آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين (بسوسنس الثاني)، وأحكم قبضته على العرش دون مقاومة، ودانت له منطقة الدلتا والصعيد⁽²⁸⁾. كما حمل الألقاب الملكية المصرية، وأعتنق ديانة آمون وارتنى ملابس الملوك الفرعنة، واهتم بالجانب المعماري فشيّد مبان عديدة في تل بوباسطة ومنف ومدخل الكرنك⁽²⁹⁾.

واضافة لما تقدم من ذكر للقبائل التي سكنت غربي نهر النيل، كانت هناك قبائل صغيرة أيضاً منها الأسبت، الكيكش، السبد، القهق⁽³⁰⁾.

ثانياً: سكان ليبيا القديمة وفق المصادر الكلاسيكية:

ويمكن تعريفها بأنها تلك المؤلفات التي ورد فيها ذكر بلاد ليبيا أو بلاد المغرب القديم عموماً، والتي كانت تمثل الإنتاج الأدبي للكتاب والمؤرخين والجغرافيين والرحالة الذين زاروا المنطقة فترة العصور

الكلاسيكية (الإغريق والرومان)، وتحديث هذه المصادر عن القبائل الليبية القديمة التي سكنت المنطقة، وقد كانوا في حرب شبه دائمة ضد الإغريق والرومان⁽³¹⁾.

ويمكن اعتبار ما كتبه هيرودوتس في كتابه الرابع الخاص بلبييا من أول وأهم المعلومات والأخبار التي أوردت لنا وصفاً لسكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ومن ثم جاء من بعده العديد من المؤرخين والكتاب خلال العصر الروماني، وافقوا هيرودوتس في جل ما كتبه، مع إعطاء تفاصيل وتقاسيم مختلفة وفقاً للتغيرات الديموغرافية المتواصلة في المنطقة، وأول ما يمكن ملاحظته من خلال تتبع المصادر الكلاسيكية عند تناولها لسكان المنطقة، هو الاختفاء الكامل لأسماء القبائل الليبية التي ذُكرت في المصادر المصرية القديمة (التحنو والتحمو والليبو والمشواش)، وظهور مجموعات أخرى بمسميات مختلفة ولكن مناطق نفوذها هي نفس مناطق نفوذ المجموعات الأولى (القبائل الليبية)، وهذه الظاهرة قد تكون مرحلة من مراحل التغير الديموغرافي التي حدثت بالمنطقة في عدم وجود مصادر محلية لتاريخ بلاد المغرب القديم، وعند الحديث عن المجموعات السكانية في شرق المغرب القديم حسب المصادر الكلاسيكية، فقد أشار هيرودوتس إلى أسماء العديد من القبائل والتي سكنت المنطقة الممتدة من هضبة مارماريكا (السلوم) إلى ما بعد خليج سرت الكبير وبحيرة كاباتاتاموس (خليج قابس) وصولاً إلى أعمدة هرقل الحد الغربي للمنطقة، نذكر منهم الآتي:

قبيلة الأدروماخيدي: حسب وصف هيرودوت، كانت هذه قبيلة تسكن المنطقة الواقعة غربي النيل، أي بين مصر وحدود برقة (المنطقة الشرقية من ليبيا اليوم). وقد وصفهم بأنهم يشبهون المصريين في بعض العادات، ولكن يختلفون عنهم في أخرى، ومن العادات التي ذكرها أن لباسهم كان مزيجاً بين الطابع المصري والليبي⁽³²⁾.

قبيلة الجيلجاماي: وتسكن إلى الغرب من القبيلة السابقة ويمتد نفوذها غرباً حتى جزيرة افروديسياس، ولم يذكر هيرودوت تفاصيل كثيرة عنهم، لكنه أشار إليهم ضمن مجموعة القبائل الليبية التي كان لها نمط حياة يعتمد على الرعي، وكانت عاداتهم تشبه عادات الليبيين الآخرين⁽³³⁾.

قبيلة الأسبوستاي: كانت تسكن إلى الغرب من الأسبوستاي جنوب كريني (قورينا)، وهم أفضل من يقود العربات التي تجرها أربعة أحصنة، وأما عاداتهم فهم يقلدون عادات الكيرينيين⁽³⁴⁾.

قبيلة الاوسيخييساي: تسكن هذه القبيلة إلى الجنوب من باركي (برقة) ويصلون إلى البحر عند يوسبريديس⁽³⁵⁾.

قبيلة النسامونيس: تعد هذه القبيلة من أكثر القبائل عدداً وتمتد منطقة نفوذهم من ساحل البحر حتى منطقة أوجيلة⁽³⁶⁾، وكانوا يمارسون القرصنة على السفن المارة بخليج سرت لغرض الحصول على الغنائم⁽³⁷⁾، وذكر بليني إن أفضل أشجار اللوتس كانت تنمو في أراضي النسامونيس⁽³⁸⁾.
قبيلة الماكاي: ورد ذكرهم عنده هيرودوتس وكان نهر كنييس يجري عبر أراضيهم⁽³⁹⁾، وقد أشارت النصوص إلى أن هذه القبيلة قد شاركت القرطاجيين في تدمير المستعمرة الإغريقية الواقعة على نهر كنييس عام 517 قبل الميلاد⁽⁴⁰⁾، ويبدو أن هذه القبيلة كانت مستقرة أكثر من القبائل الأخرى لوفرة المياه والتربة الصالحة للزراعة.

قبيلة البسيلي: وبحسب هيرودوتس فإنهم انقرضوا بسبب جفاف مصادر المياه لديهم وقد استولى النسامونيس على أرضهم⁽⁴¹⁾.

قبيلة اللوتوفاجي: اعتمد سكان هذه القبيلة على ثمرة اللوتس ومنها جاءت تسميتهم، ويبدو أنهم اندمجوا مع الفينيقيين بعد تطور المراكز التجارية الفينيقية إلى مدناً كبيرة وتم استيعاب أغلب القبائل المقيمة على الساحل أو بقربه في هذه المدن⁽⁴²⁾.

وقد ذكر هيرودوتس أيضاً قبائل أخرى بتفاصيل أقل مثل قبيلة الماخليس وقبيلة الافسيس الذين يقيمون حول بحيرة تريتونيس، ويفصل بينهما في الوسط نهر تريثون، وإلى الغرب من نهر تريثون بعد الافسيس، يأتي الفلاحون الليبيون الذين اعتادوا بناء المساكن ويكون الماكسيس اسماً لهم، بعد الماكسيس يأتي الزافيكييس الذين تقود نسائهم العربات أثناء الحروب⁽⁴³⁾.

الجرمنت: يعد هيرودوتس أول من أشار إليهم في القرن الخامس قبل الميلاد، بأنها قبيلة كثيرة العدد ويقودون العربات التي تجرها أربعة أحصنة⁽⁴⁴⁾، وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية أن منطقة قبائل الجرمنت كانت تضم ثلاثة أحزمة من الواحات تقع فيما بين المرتفعات الشمالية للحمادة الحمراء وبحر الرمال الممتد من اوباري حتى مرزق⁽⁴⁵⁾، وإن الجرمنت لم يخضعوا للسلطة الرومانية رغم دخول قواتها إلى عاصمتهم جرما في حملة بالبوس وبقت مناطقهم خارج الاحتلال الروماني بل ومهددة لنفوده في المنطقة⁽⁴⁶⁾.

وهنا يرى الباحث إن القبائل التي سكنت بلاد المغرب القديم كانت لها أراضي خاصة وحدود معروفة، وأنهم لم يكونوا رحلاً إلا بدرجة محدودة، لأن منطقة المغرب القديم كانت تتوفر بها السهول الخصبة والمنحدرات الجبلية الصالحة للزراعة بالإضافة إلى ضفاف الأودية، وكل ذلك كان سبباً مهماً للاستقرار.

أما سالوست فذكر إن قبائل الجايتولي والليبيون كانوا يسكنون إفريقيا ويصفهم بالشعوب الغير متمدنة، وبعد موت هرقل في إسبانيا وتفرق جيشه الذي كان يضم الكثير من الأجناس، ومن ضمن هؤلاء الأجناس الميديين والفرس والأراميين الذين استقروا على الساحل بجانب أعمدة هرقل، وبمرور الوقت أختلط الفرس مع الجايتولي عن طريق المصاهرة فظهر بذلك النوميديين، أما الميديين والأرميين فيسكنون بالقرب من البحر بينما الجايتولي كانوا إلى الجنوب منهم وتمتد منطقة نفوذهم إلى حدود الصحراء، وقد ذكر أيضاً إنه باتجاه هضبة كاباتاموس غرباً وهذا المكان الذي يفصل مصر عن إفريقيا، أن أول مدينة على البحر هي المستعمرة الثيرية كريني (قورينا)، وبعدها السرتين وبينهما ليكس (لبدة) وصولاً إلى مذبح الأخوين فليني، وهو الحد الفاصل بين القرطاجيين ومصر ويسيطر النوميديون على بقية الأراضي حتى موريتانيا، وجنوب نوميديا يعيش الجايتولي اللذين يسكن بعضهم في أكواخ وبعضهم الآخر يعيش حياة متنقلة، وراء ذلك يسكن الإثيوبيين وورائهم توجد الأراضي المحروقة⁽⁴⁷⁾، وأما الفنيقيين فقد أسسوا مراكز تجارية على ساحل المغرب القديم تحولت إلى مستوطنات كاملة ثم أصبحت مدناً على مثل مدينة (Hadrumate) سوسة في تونس الحالية ومدينة (Garthage) قرطاج ومدناً أخرى على شاطئ البحر، والذي كان سبب تطورها زيادة عدد السكان، أما الإثيوبيون فهم جنوب الجايتولي وهم أقرب إلى المناطق الصحراوية (الأراضي المحروقة)، وأخيراً الرومان الذين جاؤوا إلى بلاد المغرب القديم بعد سقوط قرطاجة 146 ق.م، واحتلوا المنطقة، وقد جاءت جميع طبقات المجتمع الروماني من حكام وتجار ومزارعين، وقد تركز هؤلاء في المدن البونية التي تتوفر على مرافق الراحة والرفاهية⁽⁴⁸⁾.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن دراسة سكان ليبيا القديمة من خلال الجمع بين الشواهد الأثرية والمصادر الكلاسيكية تمثل مدخلاً منهجياً ضرورياً لفهم تاريخ المنطقة فهماً أكثر دقة وموضوعية. وقد أظهرت هذه الدراسة أن الاعتماد على مصدر واحد لا يكفي لتكوين صورة متكاملة، بل إن التكامل بين المعطيات الأثرية والنصوص الأدبية يسهم في تصحيح الكثير من التصورات التقليدية.

وقد أسفرت الدراسة عن جملة من النتائج، من أبرزها أن المصادر المصرية القديمة تُعد من أقدم وأوثق الشواهد التي وثّقت القبائل الليبية، حيث قدّمت معلومات واضحة حول قبائل التحنو والتحمو والليبو والمشواش، سواء من حيث توزيعها الجغرافي أو طبيعة علاقاتها مع مصر القديمة، والتي اتسمت بالتنوع

بين الصراع والتعاون، بل وصلت في بعض الحالات إلى الاندماج السياسي كما في تجربة الأسرة الثانية والعشرين.

كما بينت الدراسة أن المصادر الكلاسيكية، رغم أهميتها، تعكس رؤية خارجية اتسمت أحياناً بالتحيز، إلا أنها قدمت معطيات إثنوغرافية مهمة حول سكان ليبيا القديمة، وكشفت عن تحولات ديموغرافية تمثلت في تغير التسميات القبلية وظهور مجموعات جديدة في نفس المجالات الجغرافية، وهو ما يدل على استمرارية سكانية مع تغير في البنية والتسمية.

وأظهرت النتائج كذلك أن سكان ليبيا القديمة لم يكونوا مجرد جماعات بدوية متقلة كما صورتهم بعض المصادر، بل عرفوا أنماطاً متعددة من الاستقرار، واستغلوا الموارد الطبيعية المتاحة، خاصة في المناطق الساحلية والواحات، مما ساهم في قيام مجتمعات ذات تنظيمات اقتصادية واجتماعية واضحة، بل وكان لبعضها دور فاعل في التفاعلات الإقليمية المتوسطة.

كما أكدت الدراسة على وجود تواصل حضاري وثقافي بين سكان ليبيا القديمة ومحيطهم، سواء مع المصريين أو الفينيقيين أو الإغريق والرومان، وهو ما يعكس طبيعة المنطقة كحلقة وصل حضارية في شمال أفريقيا.

وعليه، توصي الدراسة بضرورة توسيع نطاق البحث في تاريخ ليبيا القديمة من خلال تعزيز الدراسات الأثرية الميدانية، وإعادة قراءة المصادر الكلاسيكية قراءة نقدية مقارنة، بما يساهم في إعادة بناء تاريخ المنطقة بعيداً عن التحيزات، ويبرز دورها الحقيقي في الحضارة الإنسانية.

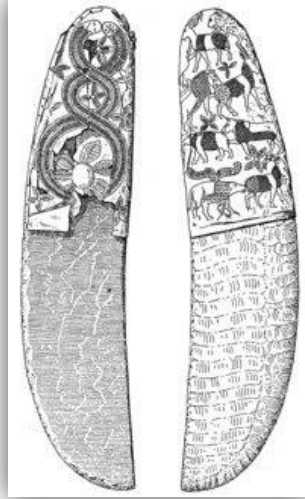
الحواشي:

- (1) هند الفقي، أضواء على المعتقدات الدينية في مصر القديمة وبلاد المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد الخامس، القاهرة، 2018م، ص 24.
- (2) ميريك بوسنانسكي، مقدمة لإفريقيا المجاورة للصحراء في عصور ما قبل التاريخ المتأخر، موسوعة تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، اليونسكو، 1985م، ص 562.
- (3) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في التاريخ الليبي القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966م، ص 10.
- (4) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، الجزء الأول، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1971م، ص 49-50.
- (5) فوزي فهم جادالله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت (ليبيا في التاريخ)، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م، ص 53.

- (6) فرانسوا شاموا، الإغريق في برقة (الأسطورة والتاريخ)، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م، ص 26.
- (7) محمد علي سعدالله، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر وسوريا القديم)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2005م، ص 90.
- (8) عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 105.
- (9) عبد اللطيف محمود البرغوثي، مرجع سابق، ص 105.
- (10) أحمد فخري، تاريخنا (ليبيا من عصور ما قبل التاريخ وحتى القرن السابع ق.م)، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1960، ص 97.
- (11) فوزي فهم جادالله، المرجع السابق، ص 59.
- 12 فوزي فهم جادالله، مرجع سابق، ص 59.
- 13 فرانسوا شاموا، مرجع سابق، ص 29.
- (14) رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص 212.
- (15) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 16.
- (16) أحمد فخري، المرجع السابق، ص 99.
- (17) رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع ق.م وحتى بداية العصر الروماني، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1975م، ص 24.
- (18) فرانسوا شاموا، المرجع السابق، ص 39.
- 19 فرانسوا شاموا، مرجع سابق، ص 39.
- (20) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 24.
- (21) شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء الأول، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969م، ص 71.
- (22) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 24.
- (23) رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، المرجع السابق، ص 56.
- (24) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 25.
- (25) المرجع نفسه، ص 42.
- (26) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص 37.
- (27) سليم حسن، مصر القديمة، الجزء التاسع، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العصر الإثيوبي، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1952م، ص 75.
- (28) سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العصر الإثيوبي، ط 1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1952م، ص 75.
- (29) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 182.
- (30) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 182.

- (31) أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الطبعة الأولى، مصراته، 1990م، ص 170.
- (32) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، الطبعة الثانية، مكتبة دار الفكر، طرابلس، ليبيا، 1967م، ص 33.
- (33) هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت (الكتاب الرابع والكتاب السكيثي)، نقله إلى العربية: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، ص 116.
- (34) المصدر نفسه، ص 119.
- (35) نفسه، ص 116.
- (36) هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، ترجمة مصطفى أعشى، منشورات المعهد الملكي للثقافة، الرباط، 2009م، ص 128.
- (37) أحمد محمد انديشة، المرجع السابق، ص 180.
- (38) زكريا بوقجيج، سعيد البوزيدي، قراءة موضوعاتية في الجغرافيا التاريخية القديمة: شمال إفريقيا من خلال كتاب التاريخ الطبيعي لبليني نموذجاً، مجلة سطور، العدد 21، جامعة ابن الطفيل، القنيطرة، ص 12.
- (39) هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت المصدر السابق، ص 118.
- (40) عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص 47.
- (41) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 102.
- (42) عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 54.
- 43 الكتاب الرابع لهيرودوت، مصدر سابق، ص 116 - 122.
- (44) رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا، المرجع السابق، ص 213.
- (45) عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 50.
- (46) زكريا بوقجيج، سعيد البوزيدي، المرجع السابق، ص 15.
- (47) سالوست، الحرب اليوغرطية، نقله إلى العربية: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2007م، ص 35.
- (48) محمد البشير شنبتي، نوميديا وروما الإمبراطورية (تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال)، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص 115.

الملاحق



لوحة رقم 1
سكين جبل عركي

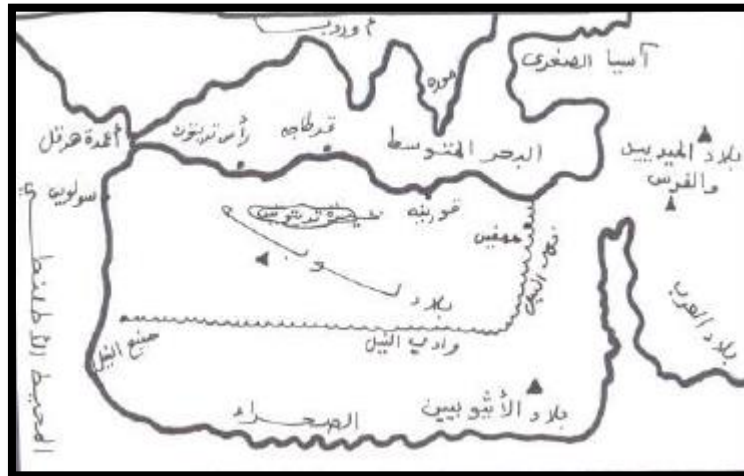


لوحة رقم 2
لوحة التحنو



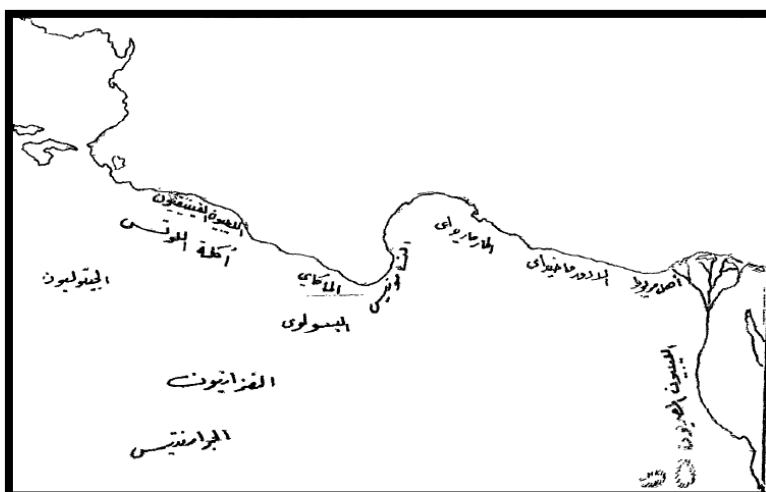
لوحة رقم 3

جغرافية وشعوب ليبيا وفق المصادر المصرية القديمة
المصدر: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 36.



لوحة رقم 4

جغرافية وشعوب ليبيا وفق هيرودوتس
المصدر: مها عيساوي، المرجع السابق، ص 28.



لوحة رقم 5

شعوب ليبيا وفق بليني

المصدر: كمال مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 243.